استشرى فيها «فيروس كورونا» لم تتجاوز وصيته في إجرائه الحجز الصحي حيث منعت هذه الدول سكان تلك المدن من الدخول إليها، ومنعت الرحلات داخل الوطن وخارجه، أفلا يكون لهؤلاء أشباه الأنعام، بل هم أضل !- أن يتعظوا من قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت]. أم أنهم يصدق عليهم قوله تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: 101]. (...)

يقول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف]. أي: أفأمن أهل القرى الكافرة أن يأتيهم عذابنا ونكالنا ليلا وهم نائمون؟ والوارد على النائم يزعجه ويقلقه، ولو كان ماءً، فكيف إذا كان عذابا نزل به ؟! ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ أي: في حال شغلهم وغفلتهم. والغالب من حالهم عدم الاستعداد لأخذ الأسباب الواقية من عذاب الله. والمأخوذ على غفلة لا شك أنه في أشد الحزن والأسى. ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

قال ابن كثير رحمه الله: «﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ أي: بأسه ونقمته وقدرته عليهم، وأخذه إياهم في حال سهوهم وغفلتهم ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾؛ ولهذا قال الحسن البصري رحمه الله: المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن».

وقال العلامة السعدي رحمه الله: «وهذه الآية الكريمة فيها من التخويف البليغ، على أن العبد لا ينبغي له أن يكون آمنا على ما معه من الإيمان. بل لا يزال خائفا وجلا أن يبتلى ببلية تسلب ما معه من الإيمان، وأن لا يزال داعيا بقوله ﷺ: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» [رواه الترمذي، وهو في (الصحيحة) (2091)] وأن يعمل ويسعى في كل سبب يخلّصه من الشر عند وقوع الفتن، فإن العبد -ولو بلغت به الحال ما بلغت- فليس على يقين من السلامة».

وهذا الاهتمام والإحساس والإشفاق، لا يكون إلا لأهل العلم والإيمان: العلم الشرعي والإيمان الحقيقي الذي توفرت أسبابه وأركانه، وانتفت مبطلاته ونواقضه. ولهذا اثنى الله على هذا الصنف

من المكلَّفين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]. وأما أهل الإلحاد والغي والجهل والفساد فلا يرعوون ولا ينزجرون ولا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم.

فيجب على كل مؤمن ومؤمنة الحذر من مكر الله، وعدم الأمن منه، فهو استدراج للعاصي والمقيم على الكفر، حتى إذا بطش به لم يُفلته. قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود].

ولنعلم علم اليقين أنه ليس بين الله وبين عباده نسب يعوّلون عليه، وإنما هي الأعمال. ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت]. والسعيد من وُعظ بغيره.

يجب أن نحذر من المعاصي، فهي من أكبر أسباب سلب النعم وحلول المصائب والنقم. وما أهلكت الأمم الماضية بالريح والخسف والمسخ والصيحة والخوف إلا بشؤم المعاصي.

والعاقل هو من يتوقى مصارع السوء ويعمل جاهدا على تحصيل الأسباب الواقية من عذاب الله تعالى وسخطه، والمخلّصة لصاحبها -بمشيئة الله- من الكروب، كما حصل لأصحاب الغار الذين آواهم المبيت إلى غار، فانطبقت على فتحة الغار صخرة سدّته لا قِبل لهم بزحزحتها، فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله بصالح أعمالكم ليخلّصكم من هذا المأزق. فدعا كلٌّ منهم بخبيئته التي خبّأها لمثل هذا الظرف العصيب. فأحدهم دعا ربه ببرّه لوالديه وسقيهما اللبن قبل أطفاله، فانفرج ثلث الصخرة. ودعا الثاني بعفته عن الزنا بعد أن تمكن منه، فذكّرته المرأة بالخوف من الله فتركها، وترك المال الذي أعطاها، فانفرج ثلثا الصخرة. والثالث دعا الله بحفظ الأمانة وتثمير أجرة العامل الذي تركها عنده حتى صار منها الماشية الكثيرة ورُعاتها. فجاء يطلبها يوما من الأيام، فقال له: ما ترى أمامك هو أجرتك، فأخذها ومضى، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون. وذلك بفضل الله ثم بفضل التعرف على الله بالأعمال الصالحة في أوقات الرخاء، كما جاء في الحديث: «تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة» [(صحيح الجامع) (5272)]. (...).

عن خطبة جمعة يوم 06 جمادى الآخرة سنة 1441 هـ - بتصرف يسير-
بُثت على (إذاعة زدني العلمية)

الابتلاءات

جُنْدٌ مِنْ جُنْدِ الله

لفضيلة الشيخ:
محمد بن محمد صغير عكور
حفظه الله تعالى

شارك في نشر هذه المطوية لتكون لك حسنة جارية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال فضيلة الشيخ محمد بن محمد صغير عكور حفظه الله تعالى:

الوباء جند من جند الله، يؤدّب الله به من عصاه، كما قال عز من قائل: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ يعني: حصل الفساد في الأرواح بالقتل، وفي الأموال بنزع البركة منها، وفي الحروث والزروع، وفي الأوطان باختلال الأمن فيها، وفي الأعراض. كل هذا حصل ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: 41]. فإن كان هذا جزاء البعض، فكيف جزاء الكل؟!

إن الإيمان بالقضاء والقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان، وإن الله قدّر مقادير كل شيء، قدّر مقادير العباد قبل أن يخلقهم بخمسين ألف سنة، بأن خلق أول ما خلق القلم، فقال له: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: «اكتب كل ما هو كائن إلى قيام الساعة، فجرى القلم في تلك الساعة بما هو كائن» [رواه الترمذي وغيره، وهو في (صحيح الجامع) (378)]. ولن يُقبل من أحد إيمانه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، ولو أنفق مثل أحد ذهبا، ما نفعه إن لم يؤمن بالقدر.

وإنّ مما قدّره الله وقضاه: هذه الأوبئة التي تظهر بين الحين والآخر، وبصفات مخيفة، ليأخذ بها الظالمَ المعرض عن اللهِ والإيمانِ به أخذَ عزيز مُقتدر، وليوقظ الغافل عن قدرة الله وأنه شديد البطش والانتقام ممن تجاوز حدَّه في الظلم والتجبر على عباد الله المؤمنين.

ومن هذه الجنود التي لا يعلمها إلا الذي سلّطها على من شاء ممن ظنوا أنهم بعيدون عن سلطان الله، منها: هذا الفيروس الوبائي الذي سلطه الله على إحدى الدول العظمى وأكثرها تقدما في الحياة، وهم عن الآخرة غافلون. فصار هذا المرض شغلَ هذه الدولة وغيرَها من الدول، شغلُهم الشاغل، واهتزت في علاقاتها مع الآخرين، وتضررت في اقتصادها، حيث أصبحت في عزلة اجتماعية.

وللناس في هذه الأحوال مواقف مختلفة:

فأما أهل الإيمان واليقين: فيعلمون أنه حاصل بقضاء الله وقدره، فيرضون به ويسلّمون أمرهم لله، إلى مقدِّر الأقدار، ويعلمون أنه تمحيص للمؤمنين من ذنوبهم، فيحملهم هذا على الحذر

من بطش الله، والرجوع إلى الله بالأوبة والتوبة وإصلاح الخلل ومجانبة الزلل، ممتثلين قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة].

ونتذكر ما جاء عن نبي الهدى والرحمة، وما أخبر به عن علامات الساعة، كما روى عنه عوف بن مالك ﷺ أنه قال: «أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك، وهو في قبة من أدم، فقال لي: اعدد ستًّا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم مُوتَان يأخذ فيكم كقَعَاصِ الغنم» الحديث [رواه البخاري]. قال ابن الأثير: «المُوتَان: هو الموت الكثير الوقوع» [(النهاية في غريب الحديث) (370/ 4)]. وشبهه كقعاص الغنم، وهو «داء يأخذ الغنم لا يُلبثُها إلى أن تموت» [(النهاية في غريب الحديث) (88/ 4)]. وقيل: هو داء في الصدر. وكثير من الأوبئة تؤثر في الرئة وتحبس النَّفَس حتى يموت المبوء.

فالمؤمن الصابر المحتسب يحوز الأجر العظيم، كما سألت عائشة ﷺ رسول الله ﷺ عن الطاعون، قالت: «فأخبرني أنه عذاب يبعثه الله على من يشاء. وإن الله جعله رحمة للمؤمنين، ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرا محتسبا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد» [رواه البخاري].

وأما غير المؤمنين: فلا يسندون الأقدار إلى مقدِّرها، ولا يتَّعظون منها، ولا يدركون الحكمة من تسليطها عليهم، فهي محقٌ لهم وعقوبة عاجلة لهم في الدنيا، كما مضت سنة الله في المكذبين، وتحقق الوعيد في حق من تجاهل أوامر الله فتركها غير مبالٍ بها، وارتكب النواهي بلا خوف من الله ولا حياء.

أما المؤمن: فليس في قلبه أدنى شك أن ما يحصل للعباد من كوارث وابتلاءات ومصائب فبسبب ما كسبت أيديهم من الجرائم، كما أسلفت ذكر قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: 41]. وفي الحديث: «لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يُعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون

والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم» [رواه ابن ماجه، وهو في (الصحيحة) (106)]. وقال ابن عباس ﷺ: «ما ظهر البغي في قوم قط إلا ظهر فيهم المُوتان». والمُوتان: هو الوباء الذي يعمّ الناس فيهلكهم.

● وإذا ظهرت هذه الأوبئة الفتاكة في عصر أو مِصر، فما توجيه الشرع في التعامل معها؟ فيكون الجواب كما يلي:

أولا: أن نأخذ بالأسباب التي ربطها الله بمسبَّباتها. لأن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله، بدليل قوله ﷺ عن الطاعون: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ فِي أَرْضٍ، فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ» [رواه البخاري ومسلم].

من الأسباب: عدم القدوم على مكان الوباء، لقوله ﷺ: «لا يورَد مُمرض على مُصِحٍّ» [رواه البخاري ومسلم]. على أصحاب الماشية الأصحاء أن لا يوردوها على المرضى، لا في المبيت ولا في المرعى، ولا في أماكن الورود.

ثانيا: تفويض الأمر إلى الله، والقناعة التامة بما تضمنه الأثر، وهو قوله ﷺ: «واعلَمْ أنَّ ما أصابَكَ لم يَكُن ليُخطِئَكَ، وما أخطَأَكَ لم يَكُن لِيُصِيبَكَ» [انظر: (الصحيحة) (2439)].

ثالثا: تذكر قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: 145].

رابعا: اللهج بحمد الله والثناء عليه، وشكره على النعماء، والصبر على البلوى. فهذا دأب المؤمن الذي قال عنه النبي ﷺ: «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، ، وَلَيْسَ هذا إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ» [رواه مسلم]. هذا هو سبيل المؤمنين الذين هداهم الله وألهمهم. فهم خير البريّة.

وأما أمم الكفر والإلحاد، عبدة الأوثان، الذين اختاروا سبل الغواية والعصيان، معتمدين على ما عندهم من الماديات التي لا تغني عنهم من بطش الله جناح بعوضة، فقد أذلّهم الله بالكفر والمعاصي، وأوكلهم إلى مادّياتهم.

● وقد أذعن الملاحدة صاغرين على أن يأخذوا بهذا الهدي النبوي الذي أرشد إليه النبي ﷺ قبل أربعة عشر قرنا. فهذه الدول العظمى التي